أنا أرى، أنا أريد، أنا آخذ

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: ٢كورنثوس ٨: ١-٧؛ متى ١٣: ٣-٧، ٢٢؛ تكوين ٣: ١-٦؛ إشعياء ٥٦: ١١؛ متى ٢٦: ١٤-١٦؛ ٢بطرس ١: ٥-٩.

آية الحفظ: «والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة. وَهَمُّ هذا العالَم وغُرُورُ الغِنى يَخْنُقَانِ الكلِمَة فيَصِيرُ بِلا ثَمَر» (متى ١٣: ٢٢).

محبَّة المال والمُمتلكات الأرضيَّة يمكن أن تُداهمنا مِن نواحٍ مُختلفة. هكذا تَصِفُ إلن هوايت حِيَل الشيطان لإغوائنا بِخِدَع المادِّيَّات: «اذهبوا واجعلوا مالِكي الأراضي والأموال سكارى بأمور هذه الحياة. أظهِروا لهم العالَم بأبهى صُوَره وبطريقة أكثر جاذبية حتى يكنزوا لهم كنوزًا هُنا، ويجعلوا قلوبهم على الأرضيِّات. يجب أن نبذل قُصارى جهدنا لِمَنع أولئك الذين يخدمون في حقل الرَّب أن يحصلوا على وسائل يستخدمونها ضِدَّنا. احتَفِظوا بالأموال في حوزتنا، فكُلَّما ازدادت الوسائل التي يحصلون عليها، ازداد ضررهم على مملكتنا إذ سيأخذون مِن رعايانا. اجعلوهم يهتمون بالمال أكثر مِن اهتمامهم ببناء ملكوت المسيح ونشر الحق الذي نُبغِضه، ولا حاجة لنا أن نخشى نفوذهم؛ لأننا نُدرِك أنَّ كل شخص أناني وطامع سوف يسقط تحت سيطرتنا، وسوف ينتهي به الأمر أخيرًا لأن ينفصل عن شعب الله» (روح النبوة، إرشادات حول الوكالة المسيحية، صفحة ١٥٤-١٥٥).

لِسوء الحظ، يبدو أنَّ هذه الخدعة تأخذ مسارها جيِّدًا. فدعونا إذًا نتَّخِذ الحذر مِن هذه المخاطر ونرى ما تقوله لنا كلمة الله حتى نتجنَّب ذلك الفخ الروحي.

* نرجو التَّعمُّق في موضوع هذا الدرس، استعدادًا لِمُناقَشته يوم السبت القادم الموافق ١٣ كانون الثاني (يناير).

إنجيل الثَّراء

قـدَّم أحـد مشـاهير الواعظيـن الذيـن يظهـرون عبـر شاشـة التلفزيـون رسـالة بسـيطة يقـول فيهـا: «يريـد الله أن يُبـاركَك، والدليـل علـى بَرَكَتِـهِ لـكَ هـو وُفـرة مـا لديـك مِـن ممتلـكات أرضيـة.» بعبـارة أخـرى، إذا كُنـتَ أمينًـا، سـيجعلك الله ثريًّـا.

هـذا الـرأي أو مـا يُشـابهه مـن آراء، يُطلَـق عليـه تعبيـر ‹إنجيـل الثَّـراء›: اتبـع الله وسـوف يجعلـك ثريًـا بالممتلـكات الأرضيـة. هـذا الـرأي لا يعـدو كونـه مجـرد تبريـر لاهوتـي زائـف للمادِّيّـة، لأنَّ حقيقـة مـا يقولـه هـذا الـرأي هـو: هـل ترغـب فـي أن تكـون مادِّيًّـا وتشـعر بالرِّضـا حِيـال ذلـك؟ حسـنًا، لدينـا ‹إنجيـل› نُقدِّمـه لـك.

فـوق ذلـك، فـإنَّ ربـط الإنجيـل بالثَّـراء المضمـون هـو توجُّـه اسـتعراضي خاطـئ. يخلـق هـذا الاعتقـاد تناقُضًـا مـع الكتـاب المُقَـدَّس ويعكـس نظريـة لاهوتيـة مركزهـا النَّفـس، وهـي ليسـت سـوى نصـف الحقيقـة مكسـوَّة بلغـة الإنجيـل. فـي جوهـر هـذه الأكذوبـة يكمـن جوهـر كل الخطايـا، وهـو النَّفـس والرَّغبـة فـي إمتـاع النَّفـس فـوق كل مـا عداهـا.

إنَّ لاهـوت ‹إنجيـل الثَّـراء› يُعلِّـم أنـه إذ نُعطـي لله، سـنربح بالمُقابـل ثـراءًا مادِّيًّـا مَضمونًـا. ولكـن هـذا يجعـل مِـن الله آلـة بيـع (تضـع فيهـا العملـة لكـي تحصـل علـى شـيء فـي المقابـل — vending machine)، ويُحـوِّل علاقتنـا بـه إلـى صَفْقَـةٍ تِجاريـة ليـس إلا، ‹أنـا أفعـل هـذا، وأنـتَ تَعِدُنـي فـي المُقابـل بـأن تَفْعَـل ذاك›. نحـن نُعطـي، ليـس لأنَّ هـذا هـو مـا ينبغـي أن نفعلـه، لكـن لأجـل مـا سـنحصل عليـه فـي المُقابِـل.

هذا هو ‹إنجيل الثَّراء›.

اقـرأ ٢كورنثـوس ٨: ١-٧. مـاذا يحـدث هُنـا؟ مـا هـي المبـادئ التـي نراهـا فـي هـذه الآيـات والتـي تتناقـض مـع فِكـرة ‹إنجيـل الثَّـراء›؟ ومـاذا يعنـي بولـس عندمـا يتحـدَّث عـن «نِعمَـة العطـاء» (٢كورنثـوس ٨: ٧)؟

مـع أنَّ أولئـك النـاس كانـوا فـي «ضِيقـة شـديدة» (٢كورنثـوس ٨: ٢)، إلا أنَّهـم كانـوا أسـخياء جـدًّا، حتـى أنَّهـم أعطـوا أكثـر مِمَّـا كان بمَقدورِهـم أن يُعطـوا. مثـل هـذه الآيـات وغيرهـا الكثيـر تُسـاعدنا فـي دحـض لاهـوت ‹إنجيـل الثَّـراء› الـذي يُعلِّـم أنـه إن كُنـتَ تعيـش عيشـة صالِحـة مـع الله، فسـوف تحصـل علـى الكثيـر مِـن الممتلـكات المادِّيَّـة لتتباهـى بهـا.

أيَّـة أمثلـة يمكنـك أن تجدهـا فـي أشـخاص مؤمنيـن بـالله لكنَّهـم غيـر أغنيـاء فـي الممتلـكات الأرضيـة، وأشـخاص غيـر مؤمنيـن بـالله لكنَّهـم أغنيـاء بالممتلـكات الأرضيـة؟ مـاذا يُخبرنـا ذلـك عـن اسـتخدام الثَّـراء كمؤشِّـر لبَـرَكات الله؟

الاثنين

٨ كانون الثاني (يناير)

غشاوة على العين الروحيَّة

لَسـنا بحاجـة إلـى الكتـاب المُقَـدَّس لِيُعْلِمنـا إحـدى الحقائـق الواضحـة: همـوم هـذا العالـم وثرواتـه هـي أمـور وقتيَّـة. لا شـيء يـدوم علـى هـذه الأرض؛ وقطعًـا لـن يـدوم طويـلاً أيضًـا. وكمـا قـال بطـرس: «ونحـن غيـر ناظريـن إلـى الأشـياء التـي تُـرى، بـل إلـى التـي لا تُـرى. لأنَّ التـي تُـرى وقتيَّـة، وأمـا التـي لا تُـرى فأبديَّـة» (٢كورنثـوس ٤: ١٨). عندمـا يُركِّـز المسـيحيون اهتمامهـم علـى أمـور هـذا العالـم بـدلاً مِـن تركيزهـم علـى طريـق السَّـماء، يحـدث لهـم قُصْـر نَظَـر. وأشـياء قليلـة يمكنهـا أن تعميهـم عـن ذلـك الطريـق أكثـر مِـن غـرور الغِنـى. قالـت هِيليِـن كِلِيـر، التـي كانـت عمياء: «إنَّ الشـخص الأكثـر إثـارة للشـفقة فـي هـذا العالـم هـو الشـخص الـذي يملـك البصـر ولكنـه لا يملـك البصيـرة». إنَّ الكتـاب المُقَـدَّس ملـيء بالأمثلـة لأشـخاص كانـوا مُبصريـن ولكنهـم كانـوا بالحقيقـة فاقـدي البصـر روحيًّـا.

«البعـض يُحِبُّـون هـذا العالـم لدرجـة قَضَـت علـى محبَّتِهـم للحـق. وإذ تتعاظـم ثرواتهـم الأرضيـة، يتضـاءل اهتمامهـم بكنوزهـم السـماوية. وكلمـا ازدادت ممتلكاتهـم فـي هـذا العالـم، ازداد احتضانهـم لهـا؛ وكأنهـم يخافـون مِـن أن تُؤخَـذ ثرواتهـم منهـم. وبقـدر مـا تكثـر ممتلكاتهـم، يتضـاءل مـا يُقدِّمونـه للآخريـن، ومـع ازديـاد مـا يمتلكـون، يـزداد شـعورهم بالفقـر. يـا لخـداع المـال! إنَّهـم لـن يـروا ولـن يشـعروا باحتياجـات عمـل الله» (روح النبـوة، المواهـب الروحيـة، المُجلَّـد الثانـي، صفحـة ٢٦٧).

إنَّ غِشـى البصـر الروحـي يضـع الخـلاص الأبـدي فـي خطـر. ليـسَ كافيًـا أن نضـع يسـوع فـي الاعتبـار، بـل علينـا أن نجعلـه مركـز أنظارنـا.

اقـرأ متـى ١٣: ٣-٧ و٢٢. مـا هـو الخطـر الـذي يُحذِّرنـا منـه يسـوع هُنـا؟ لمـاذا يُمكـن أن يكـون هـذا فخًّـا سـهلاً لأيٍّ كان، غنيًـا كان أم فقيـرًا، لأن يقـع فيـه؟

أوَّلاً: يُحذِّرنـا المسـيح مِـن «هَـمِّ هـذا العالـم» (متـى ١٣: ٢٢). يَعلَـم يسـوع أنَّ جميعنـا لدينـا همـوم، مِـن ضمنهـا هَـمّ الأمـور الماليَّـة. هَـمُّ الفقـراء أنـه ليـس لديهـم مـا يكفيهـم،

وهـمُّ الأغنيـاء هـو: هـل مِـن مزيـد! علينـا فقـط أن نتأكَّـد أن لا نجعـل هـذه الهمـوم «تخنـق الكلمـة» (متـى ١٣: ٢٢) فـي حياتنـا.

ثانيًـا: يُحذّرنـا المسـيح مِـن «غـرور الغِنـى» (متـى ١٣: ٢٢). ومـع أنَّ الغِنـى فـي حـدِّ ذاتـه ليـسَ شـرًّا، إلا أنَّـه يملـك القـدرة لِخِداعِنـا بطريقـة قـد تقودنـا إلـى الهـلاك الأبـدي.

مـا هـي الطـرق التـي تراهـا فـي حياتـك الشـخصية لـ «خـداع الغنـى»؟ ومـا هـي الخيـارات التـي يمكنـك اتِّخاذهـا لتحمـي نفسـك مِـن هـذا الخـداع؟

الثلاثاء

٩ كانون الثاني (يناير)

خطوات الشهوة (اشتهاء ما للغير)

الشَّـهوة، مثـل كل الخطايـا، تبـدأ فـي القلـب. تبـدأ فـي داخلنـا، ثـم تطفـو نحـو الخـارج. هـذا مـا حَـدَثَ فـي عـدن.

اقـرأ تكويـن ٣: ١-٦. مـا الـذي فَعَلـه الشـيطان لإغـواء حـوَّاء لِفِعـل الخطيَّـة؟ كيـف اسـتعمل نفـس تلـك المبـاديء، عبـر العصـور، لِخِداعِنـا نحـن أيضًـا؟

«فَـرَأت المـرأة أنَّ الشَّـجرة جيِّـدة لـلأكل، وأنَّهـا بهجـة للعيـون، وأنَّ الشـجرة شـهيَّة للنظـر. فأخـذت مِـن ثمرهـا وأكلـت، وأعطـت رجُلَهـا أيضًـا معهـا، فـأكل» (تكويـن ٣: ٦).

لـو أنَّ الشـخص لـم يعـرف أفضـل، لاعتقـد بـأنَّ صِناعـة الإعلانـات قـد أخـذت مثالهـا النموذجـي فـي كيفيـة إعلانهـا عـن المُنتجـات الصِّناعيـة مِـن قصَّـة جنَّـة عـدن. فقـد قَـدَّم الشـيطان ثَمَـرَة معرفـة الخيـر والشـر بطريقـة خلقـت فـي حـوَّاء رغبـة جعلتهـا تُريـد أن تحصـل علـى مـا هـو أكثـر ممَّـا لديهـا بالفعـل، وجعلتهـا تظـنُّ أنَّهـا بحاجـة إلـى شـيء لـم تكـن فـي الحقيقـة بحاجـة إليـه. كـم هـو بـارِع! إنَّ سـقوط حـوَّاء هـو وصـف للخطـوات الثـلاث التـي يخطوهـا كل واحـد منَّـا عندمـا نسـقط فـي خطيَّـة الشـهوة (اشـتهاء مـا ليـس لنـا): أنـا أرى، أنـا أريـد، أنـا آخـذ.

قـد تكـون الشـهوة بطبيعتهـا خطيِّـة هادئـة. فهـي مثـل اللهفـة الجنسـية، مُسـتترة وراء وِشـاح أجسـادِنا. ولكـن فـي النِّهايـة، عندمـا تطـرح ثمارهـا، يُمكِـن أن تكـون مُدمِّـرة. يمكنهـا أن تُفسِـد العلاقـات، وقـد تتـرك آثـار جـروح تمتـد طويـلاً فـي حيـاة مَـن تُحِـب، وبعدهـا نَحمِـل وِزرَ الشـعور بالذَّنـب.

إذا طغـت الشـهوة (اشـتهاء مـا ليـس لنـا)، فسـوف تطغـى علـى جميـع الْمَبَـادِئ. رأى

الملك آخاب كَرْمَ نابوت، فأراده، وأصبح مُكْتَئِبًا ومَغْمُومًا إلى أن تآمَرَت مَلِكَته على قتل نابوت مِن أجل الحصول على كَرمِه (١ملوك ٢١). عَخَان لم يستطع المُقاومة عندما رأى الرِّداء والمال، فاشتهاها وأخَذَها (يشوع ٧: ٢٠-٢٢). الاشتهاء في النهاية هو مُجرَّد وجه آخر للأنانية.

«إذا كانت الأنانية هي الشكل السائد للخطية، فاشتهاء ما لا نملكه يمكن اعتباره الشكل السائد للأنانية. هذا ما ألمَح إليه الرسول بولس بشكل لافت للنظر عندما وَصَفَ «الأزمنة الصعبة» (٢تيموثاوس ٣: ١) للارتداد النِّهائي. فهو يُمثِّل الأنانية بأصل لكل الشرور التي ستسود في ذلك الوقت، والشَّهوة هي ثمرتها الأولى. «لأنَّ الناس يكونون مُحبِّين لأنفسهم، مُحبِّين للمال» (٢تيموثاوس ٣: ٢). (جون هاريس، Mammon، صفحة ٥٢).

ما أهميَّة أن نُدرِك في أنفسنا أيَّ ميلٍ أو كل الميول نحو اشتهاء ما ليس لنا؟

الأربعاء

١٠ كانون الثاني (يناير)

الطَّمَع - لِتَكُن الأشياء على طريقتك

اقرأ إشعياء ٥٦: ١١. ما هي الخطيَّة التي تُحذِّرنا منها هذه الآية؟

نحن كبشر ساقِطين، يُمكِن أن يكون الطَّمَع بالنسبة لنا أمرًا طبيعيًا وسهلاً بسهولة التَّنفُّس. ومع ذلك، مِن الصَّعب أن نتخيل شيئًا في الصفات البشرية أقل انعكاسا لصفات المسيح من الطمع. «فإنَّكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنَّه مِن أجلِكُم افتَقَرَ، وهو غَنِيٌّ، لكي تَسْتَغنُوا أنتُم بِفَقْرِهِ» (٢كورنثوس ٨: ٩).

الرَّبُّ وحده يَعْلَم مدى الخراب الذي جَلَبَه الطَّمَع عبر التاريخ. فقد أدَّى الطَّمع إلى إشعال الحروب، وتسبَّب الطمع في إقدام الناس على ارتكاب الجرائم التي جلبَت الخراب على أنفسهم وعلى عائلاتهم. يُمكن أن يكون الطَّمع مثل الجراثيم والفيروسات التي تستولي على حاضِنها لِتَلْتَهِم كل فضيلة، إلى حدِّ أن لا يبقي لديه سوى المزيد والمزيد مِن الطَّمَع. الطَّمَع مرض يُريد كل شيء: الشَّهوة والقوَّة والممتلكات. مرة أخرى: أنا أرى، أنا أريد، أنا آخذ.

اقرأ متى ٢٦: ١٤-١٦. ماذا يمكن أن نتعلَّمه عن قوَّة الطَّمَع من هذه القصَّة الحزينة؟

لاحِظ كلمات يهوذا: «ماذا تُريدون أن تُعطوني، وأنا أسلِّمه إليكم؟» (متى ٢٦: ١٥). الطَّمَع يطغى على كل ما عداه. كان يهوذا متمتِّعًا بامتياز تمتَّع به قليلون جدًّا من الناس عبر التاريخ: لقد عاش مع المسيح المتجسِّد (أي الذي أخذ صورة البشر)، وشاهد مُعجزاته، واستمع إليه يُبشِّر كلمة الحياة. ومع ذلك، أنظر إلى ما قاده الطَّمَع لأن يفعل.

«وكم كان المُخلِّص رقيقًا في مُعاملته لذاك المُزمِع أن يُسلِّمه! إن يسوع في تعاليمه تكلَّم كثيرًا عن مبادئ الإحسان التي كانت فئوسًا ضَرَبَت الطَّمَع في أصوله، وصوَّر لِعَقْل يهوذا شناعة الجشع، ومرارًا كثيرة كان ذلك التلميذ يقتنع بأنَّ كلام المسيح صوَّر أخلاقه أدقَّ تصوير وكشف عن خطيته. ولكنه أبى الاعتراف بِشَرِّه أو الإقلاع عنه» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٧٠-٢٧١).

مَن مِنَّا لا يُظْهِرُ شيئًا مِن الطَّمَع في أخلاقه — ما لم يكن حَذِرًا؟ كيف يمكننا، بنعمة الله، أن نُسَيطر على هذا الميل الطبيعي نحو الطَّمَع؟

الخميس

١١ كانون الثاني (يناير)

ضبط النَّفس

اقرأ الآيات أدناه. ما الذي تقوله لنا هذه الآيات حول ما يمكنه بل ويجب أن يساعدنا لأن نفهم كيف يستطيع الناس — أغنياء كانوا أم فُقراء، أن يصونوا أنفسهم مِن أخطار الطَّمع والجَّشع والشهوة ومحبَّة المال والأمور المادِّيَّة التي يتعرض لها المسيحي المؤمن؟

أعمال الرسل ٢٤: ٢٤-٢٦

غلاطية ٥: ٢٢-٢٥

٢بطرس ١: ٥-٩

تلك الآيات غنيَّة ومليئة بنصائح إلهيَّة كثيرة، فيما يتعلَّق بطريقة عيشنا كمسيحيين. ولكن لاحِظ خيطًا يجمعها جميعًا: ضبط النَّفس. يُمكِن لهذه الصفة أن تكون صعبة، خاصة حينما يتعلَّق الأمر بالطَّمَع الشهوة والرَّغبة في امتلاك الأشياء. يمكننا أن نحمي

أنفسنا من الأخطار التي تحدَّثنا عنها مِن خلال ضبط النفس، لأفكارِنا أولًا ثُمَّ لأفعالنا.

يمكننا ممارسة ضبط النَّفس فقط عندما نُسَلِّم ذواتنا لِقوَّة الله. لا يُمكن لأيٍّ منَّا بقُدرتنا الذاتيَّة أن نتغلَّب على تلك الصِّفات الشريرة؛ خاصة إذا كانت تلك الصفات قد تأصَّلت وتعزَّزت في النَّفس. نحن بحاجة حقيقية إلى عمل الرُّوحِ الْقُدُس بقوَّة فوق الطبيعة في حياتنا، إذا أردنا أن ننال الغلبة على تلك الخدع القوية. «لم تُصِبْكُم تجربة إلا بشرية. ولكنَّ الله أمين، الذي لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيَجعَل مع التَّجربة أيضًا المنفذ لتستطيعوا أن تحتَمِلوا» (١كورنثوس ١٠: ١٣).

أعِد قِراءة ٢بطرس ١: ٥-٩. ما هو الطريق الذي يُشير إليه بطرس؟ ما هي خطوات ذلك الطريق؟ وكيف يمكننا أن نتعلَّم كيف نتبعها — خاصة في سعينا للتغلب على الطمع والاشتهاء؟

الجمعة

١٢ كانون الثاني (يناير)

لمزيد من الدرس: إنَّ الهدف الأسمى للجنس البشري هو السَّعادة ورضا النفس. ولكن الرِّضا النفسي مِن خلال المادِّيَّة، لن يُحقِّق هذا الهدف. يعلَم البشر في عُمْقِ أعماقهم أنَّ ذلك صحيح، ومع ذلك فهم يستمرون في استحواذهم على الممتلكات: أنا أرى، أنا أريد، أنا آخذ. ما أبسطها! السبتيون المجيئيون، كما الآخرون أيضًا، يواجهون تجربة قبولهم لأهمية المادِّيَّات. ولكن، التَّمادي في اكتساب الحاجات الأرضية لا تُنْتِجُ السَّعادة، والرِّضا أو القناعة. بدلاً مِن ذلك، فهي غالبًا ما تكون سببًا في ظهور مشاكل؛ كما ظهر في قصة الشاب الغني حينما تحوَّل عن المسيح حزينًا، وقانطًا، ومكتئبًا لأنه لم يسمع من المسيح أو لأنه لم يأخذ منه ما أراده. «إنَّ المادِّيَّة ترتَبِطُ ارتباطًا وثيقًا بالتدهور الحاصل في الإنسان. فهو يسقط مِن حالة الرِّضا والسعادة الزائفة إلى حالة الإحباط والقلق، ثم إلى مشاكل جسدية مثل الصداع، ثم إلى تَّقلُّبات في الشخصية، والأنانية، وصفات غير اجتماعية» (تيم كاسر، The High Price of Materialism، صفحة ٢٢).

إنَّ المسيحيين المادِّيين، بمعنى آخر، يَنْهَلون مِن بئر الغِنى مُتفاخرين بثرواتهم، إلا أنَّهُم في الحقيقة في حالة جفاف روحي. ولكننا لن نعطش أبدًا إذا شربنا مِن الماء الذي يمنحه المسيح (يوحنا ٤: ٤١).

أسئلة للنقاش

١. تأمَّل أكثر في فِكرة 'إنجيل الثروة'. ما هي الآيات التي يُمكن أن يستخدمها الذين يؤمنون بهذه الفِكرة للترويج لها؟ وتلازُمًا، ما هي الأمثلة التي يمكنك أن تجدها في الكتاب المُقَدَّس عن أشخاص أمناء، أظهرت حياتهم رفضًا حيًّا لهذا التعليم الكاذب؟

٢. قال رجل، بعد مرور عدَّة سنوات على ولادة ابنه البِكر: «لقد تعلَّمتُ حقيقتين كتابيَّتين مُهِمَّتين مِن هذا الصبي: أولاً، أننا جميعًا وُلدنا خُطاة. ثانيًا، أننا وُلدنا ويشوبنا الطمع.» مَن مِنَّا يستطيع أن يسرد قصصًا عن أنه حتى الأطفال يُظهرون طبيعة الطَّمع في الإنسان؟ ماذا يُخبرنا ذلك عن حاجتنا إلى النعمة الإلهية؟

٣. كتب أحدهم: «إذا كُنَّا نبحث عن مصدر مشاكلنا، لا يجب أن نفحص الناس للكشف عن تعاطيهم للمخدرات، بل يجب أن نفحصهم لنعرف مقدار حماقتهم جهلهم وطمعهم وحُبِّهم للقوَّة.» ما هو الشيء الكامن في الطمع والذي يجعله بهذا القدر مِن الضرر، ليس فقط بالنسبة للشخص الطامِع فقط ولكن لِمَن حوله أو حولها أيضًا؟ أيَّة أمثلة تعرفها أنت كان الطمع فيها سببًا في كثير مِن المشاكل لجميع المتورِّطين به؟